

# الشيخ الشيببي معلم من معلم العراق

بقلم : الاستاذ عبد الهادي التازى  
عضو المجمع العلمي العراقي ببغداد

في كل فائدة ، وفي كل علم ، وفي كل متنة ...  
قصدت بهذا التقديم أن نأخذ ذكره عن الوسط الذي  
نشأ فيه «الشيببي» ...  
ولد بالنجف يوم ٦ رمضان ١٣٥٦ (١٩٣٧) ...  
وتألق نجمه بين أقرانه وأصدقائه من العرب والعلم على  
السواء ، وعلى عادة طيبة المعاهد الدينية فقد كان إلى  
جانب دراسته الإسلامية يقوم بنشاط وطني بل يعتبر  
ذلك من مكملات الدين ومتمناه ، ولهذا تلمس في  
آثاره الكثير من الانتفاضات والانتفاضات ، وفي اعتاب  
المرج العاليمية الأولى ساهم في تنظيم عرائض من جميع  
أنحاء العراق رفعت إلى مؤتمر السلام ، وقد أوفد إلى  
سوريا والجهاز بتكليف من صحبة وذلك من أجل  
توحيد الجهود مع بقية قادة العرب .

وقد أسهم في الثورة العراقية المشهورة سنة  
١٩٢٠ بل كان من رجالها الأولين وكان معروفاً بمناهضته  
لكل المشواعات والاحلاف التي كان يعتقد أن فيها  
مساساً بمصالح العراق أو تهديداً لكيانه .

\* \* \*

وعندما بلغ خمساً وثلاثين سنة تقلد منصب وزارة  
التربية الوطنية لأول مرة في وزارة المرحوم ياسين  
الهاشمي ، وغادرها بعد حين ولكن ليعود إليها مرة  
ثانية وثالثة ورابعة وكان آخرها سنة ١٩٤٧ في وزارة  
المرحوم السيد محمد الصدر .

ودخل البرلمان نكان عضواً بمجلس الأعيان ورئيساً  
له وزعيم للمعارضة أكثر من مرة ! وقد ظلل بعد ثورة  
١٤ يوليه ١٩٥٨ محل احترام من ساسة العراق ومكان  
شهرى لديهم . يرضون مطالبه وينشرون مناقبه ...

\* \* \*

ولم يقطع الشيببي وهو في المنصبين : - وزير  
ومعارض - صلة بالعلم وأهله فظل بيته منتدى

العراق بما يحتضنه من أسر نبيلة وبيوت كريمة ،  
وبما يضم من أطلال من الحضارة باقية ، وملامح من  
الماضى زاهية ، يسمى في بنا مجتمعنا أيام اسهام ،  
ويعزز من كياننا أيام تعزيز .

وبيت الشيببي يعتبر من أشهر البيوتات في  
العراق التي تنتمي إلى القبيلة العربية المشهورة :  
بني أسد ، وقد عرف هذا البيت بعلمائه وشعرائه  
ورجال الأعمال وغير فيه ، والشيخ محمد رضا  
الشيببي يعد من أبرز الشخصيات المحترمة في هذا  
البيت الأصيل .

وقد نشأ في بيت النجف وترعرع بها وها  
تناول علوم العربية والأصول والبلاغة ، ودرس الدين  
والفقه والتاريخ فهو خريج «مدرسة النجف» المعروفة  
برجانها وأقطاها .

والنجف عندنا في المغرب قد يكون في نجوة عند  
بعض الناس ، ولذلك فإن من الواجب أن نعرف أن هذا  
النجف فيه يرقد الإمام على كرم الله وجهه ولذلك فهو  
من قديم ملاذ العلماء والادباء والدارسين ، وهو مهجر  
رجال الفضل والتقى والدين . واعترف بأنني في كل  
مرة زرت فيها النجف اكتشفت ناحية جديدة فيه ...  
وما رأيت بلدة أثرى فيها العلم ، وأيسر فيها العيش ،  
وأهل فيها الانس منها في العقبات المقدسة ... ضممتني  
مجالس النجف بافذاذ العلماء . وعيون الشعراء ، وقضيت  
الساعات في الحديث إليهم فكان حديثهم نعم الحديث  
وكانت نكتتهم أحلى النكت .

بلدة القانع بالقرص فما لونت منه طوم سطاب !

نعم بلدة القانع بالقرص كما يقول شاعرهم لكنها  
أيضاً بلدة الطعوم المستطابة ... ولذلك فإن على ضيوفهم  
أن يتحملوا انسواع التكريم ... ولا بد لضيوفهم أن  
يتناولوا على موائد النجف أطعمة بنق سasan !

فيما اذكر في متنها العر بالرغم من المراوح السقفية والمبارات الهوائية ، جلست الى الشیخ بعثاته السوداء ، وقد وضع عمامته جانبها واخذ يتحدث لى عن العراق ، كل شيء عن العراق ... قدم الى كثيرا من الفوائد التي تظل الى الان نصب عيني ، والشیخ الشیبیی أجر من يتحدث عن بلاد العراق فانه بحکم مرکزه وبحکم المناصب التي تقلدها ، وبحکم التجارب التي مر بها فانه يتحدث اليك حديث بصیر خپیر ... وهو ولو أنه في تاليفه المكتوبه مسنه مفید لكن في أحادیثه ومحالسه أكثر فائدة واطول نقیبا .. ولو ان أحدا سجل عنه ما كان يستطرد به من فوائد وما يعلق به من تعالیات تكون المؤثر عنه اضعاف ما هو عليه الان ..

\* \* \*

وإذا كانت الحياة بما تضمه من احداث لها صلة وثيقة بالشخصيات التي عاشت تلك الاحداث فترة من الزمن ، فانه يمكن اعتبار الشیخ الشیبیی من بين أولئک الذين اسهموا في صنع جزء من مراحل التاريخ العراقي ، وان الظاهره البارزة في العراق أن جل ما يصدر عن رجاله وقادته وعلمائه ورؤسائه لا بد أن تجد فيه - بصفة مباشرة او غير مباشرة - أثرا يضع أصابعك على حداثة من تلك العوادث وما نحن اولا، بجانب بعض آثار الشیخ الشیبیی :

### جولة في شعره

لقد سمعنا باـنـازـه ونـحنـ ما نـزالـ فـيـ الـكـلـيـةـ ،  
تـنـلـقـيـ مـنـ الشـرـقـ مـاـ يـرـدـ عـنـهـ مـنـ صـرـاخـ وـتـنـيـ يـتـمـثـلـ  
فـيـماـ يـكـتـبـ وـماـ يـنـظـمـ مـنـ لـدـنـ رـسـلـ اـسـیـفـ وـالـقـلـمـ  
هـنـاكـ ، كـنـاـ جـمـیـعـاـ فـیـ الـھـمـ سـوـاـ ، اـخـوـاتـنـاـ هـنـاـ يـتـلـظـلـونـ  
بـجـعـیـمـ الـاضـطـهـادـ ، وـاـخـوـتـاـ فـیـ الشـرـقـ يـعـکـسـونـ مـاـ  
يـعـیـشـونـ فـیـهـ مـنـ اـوـصـابـ وـآـلـامـ فـیـماـ يـكـتـبـونـ ، فـنـجـدـ  
فـیـ ذـلـكـ السـلـوـيـ وـنـطـرـبـ لـذـلـكـ الصـدـىـ ... لـقـدـ وـصـلـنـاـ  
مـنـ شـعـرـ الشـنـ، الـكـثـيرـ وـخـاصـةـ مـنـ مـاـ کـانـ يـهـدـفـ  
لـالـهـابـ حـمـاسـ لـوـ بـثـ شـکـوـیـ اوـ ثـورـةـ عـلـىـ تـقـالـیدـ .

نعم اعتقدنا تردیده كلما جرت ریح بما لا نشتهي نحن المعنین الذين نتابع في كل مكان ، ونطارد في كل جهة !

وقد عنى الاستاذ الشیبیی منذ بدايته بتسجيل انطباعاته عن الواقع العراقي ، عن المحیط الذي كان يعيشـهـ ، وـأـحـسـبـهـ کـانـ لاـ يـنـظـمـ الشـعـرـ الاـ عـنـ مـاـ يـوـضـعـ  
فـیـ اـمـتحـانـ عـاـطـفـ اوـ يـشـعـرـ بـأـزـمـةـ ضـمـيرـ ... کـنـتـ  
أـنـذـکـرـ - وـأـنـاـ اـتـجـولـ دـیـوـانـهـ - قولـ القـائلـ :

للقادسيين وملتقى للباحثين ، وهكذا وبعد اسهامه في نادي القلم العراقي انتخب عضوا في المجتمع العلمي العراقي سنة 1948 ، وقد كان انتخب عضوا في المجتمع العلمي بدمشق منذ سنة 1923 كما انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة 1947 ... وآخرها انتخب رئيسا للمجمع العراقي الجديد بعد الثورة التي اطاحت بنظام عبد الكريم قاسم ... وقد ظل موضع احترام الى أن اختاره الله نجواه اثر مكنته قلبية صباح يوم الجمعة 26 نوفمبر 1965 حيث شيعت جنازته الى الجف في موكب كتب لرفاقه من اعضاء المجتمع الشلاة أن يحضره ...

\* \* \*

لقد اتيت لي أن أتعرف شخصيا على الشیخ محمد رضا الشیبیی مسا، يوم الثلاثاء، سادس يناير 1959 حيث قدمه الى في معهد الدراسات العسالية بالقاهرة المرحوم الاستاذ محمد شفیق غربال وهنال استمعنا اليه في احدى محاضراته على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ... وذكر ان الاسئلة كانت تنهال عليه من عشرات الطلبة واذكر أيضا ان الشیخ الشیبیی كان قوي الاستعداد لتلقي تلك الامثلة .. وقد كانت فرصة لربط الصلة به فكانت لنا معه «قعدة» بعد انتهاء المحاضرة تبعتها صلات وصلات .

\* \* \*

ثم بعد هذا هيئت له الفرصة لزيارة بلاد المغرب الاقصى وكان ذلك بمناسبة احتفال جامعة القرويين بعيدها المائة بعد الالف . كان ثالث ثلاثة وردوا من العراق الشیق ارضا، لدعوة وزارة التربية الوطنية وقد تحدث للناس اثناء مقامه بالغرب عن الآخر الذي تركته جولته في المغرب ونعت هذه البلاد بأشرف النعموت فسماها «العجمة الشیئۃ»، وقارن بين سواد المغرب وسواد العراق ، وأشاد بالمنجزات التي حققها عهد الاستقلال .

وعندما حضرت القاهرة في اجتماع الدورة ٤٤ للجنة الثقافية لجامعة الدول العربية ٦-١٢-١٩٦٣ جددت به الصلات اذ كان وصل تلك الديار للاسهام في اجتماعات مجمع اللغة العربية .

\* \* \*

وعندما حللت العراق صيف 1963 سفيرا للملكة المغربية كان على أن أزور الشیخ في بيته احياء للمعهد وتتجديدا لأواصر الصداقة التي جمعت به ، كان بيته مزاره للناس باستمرار وقد كان اليوم (١٨-٦-١٩٦٣) :

يشبه الشاعر البخور فلا يند

شر طيبا الا على النار يحرق  
 فهو كما يلوح كان يصارع أحيانا شعره ويكتبه ،  
 متى أحس بالم أو شعر بسأم ، لقد أنسد هو ذات يوم:  
 ليس هذا الشعر ما ترونه  
 إن هذا قطع من كبسى !

وأنشد أيضا :

متى زحمت عوادى الدمر ركنى  
 والتنى مهين الجنابين  
 بسطت الى مليك الشعر كفى  
 فرد الهم منقض الديس  
 اذا جربت ان اقتاد بيتسا  
 فناسس ل طمعت باخرين.

وقال أيضا :

رعى الله التريض ونظاميه  
 وحق لهم رعاية كل راع  
 فان لهم لائنة حدادا  
 أحق من الصوارم بالدفاع  
 وان لهم على الشعب اطلاعا  
 كما اطسع المظل من البفاع !  
 ومن فضل الشبيبي على التاريخ انه عزز النصال  
 العراقي بتدوين مراحل ذلك الفضال منذ وقت شبابه ،  
 ومن تسمير الشبيبي على الذين يحاولون دراسة  
 شخصيته انك تستطيع بسهولة أن تعرف عليه  
 - أخلاقا وطبعا - من خلال ما قال وما نظم ...

يقول في معرض حديثه عن الاستقلال الذي كانت  
 البلاد العربية تنشده :

مررت بنا الامم الطلاقة واثنت  
 أخرى تماجر أسرها ورواقها  
 مدن العياد فمن تعاطى شاؤها  
 ياشرق فيك ؟ ومن أراد سباقها ؟  
 وإذا أراد الله افلس أمة  
 حتى تضيع أصاغها أخلاقها !!

ويقول في معرض حديثه عن اختلاط الامر بالعراق  
 في بحر سنة ١٩٢٢ أيام كان آباءنا بالغرب يعيشون على  
 أعصابهم من أهوال الدخلاء ، ونكبات العماله وتنكر  
 الاصدقاء :

ظننت مشوبا من رأيت مخلصا  
 وخلت مصابا من وجدت سليما

لا نظررة للدرجات عهودهم  
 لشهد آدابا لهم وعلوما ؟  
 وقال في معرض حديثه في بداية حرب ١٩١٤ منتقدا  
 شدة انحراف الولاة في العراق :  
 لا مدرك هذى البلاد وأهلها  
 فقد لقيت من جور ساستها جهدا !  
 ففرغ أيدينا لتملا جيبيها  
 وتهلكنا جوعا لتشبعها حمدا !!  
 شرائع سنتها العامة غيره  
 من الفرد ، أشقين الجماعة والفرد !!  
 وقد سجل حروب العثمانيين مع ايطاليا على ليبيا  
 سنة ١٩١٢ وحمل على الحضارة المفترى عليها فقال :  
 أو ما أتاك ببرقة نبا التي  
 رمت البلاد ببرق وببرق وببرق ؟  
 ما ذا يرجي من وراء حضارة  
 عمي البصير بها وضل المهدى ؟  
 وجدت فاقدت النفوس فضائلها  
 خلقت لها مكانها لم توجد !  
 وقال في نفس الموضوع من قصيدة أخرى :  
 هيئات لا يتخل عن طرابلس  
 من الغرب من حرسوما وهي في الشام  
 يا قاذفين طرابسا بنترة  
 وطالبين لها تنوير افهم  
 ما خلف الغرب فيما من حضارته  
 الا بساعته ارمات وارقام !

\* \* \*

والشيخ الشبيبي وهو نجفى الولد خصيص بجانبها  
 من شعره لثورة هذه المدينة التي استطاعت أن تعيش  
 مستقلة عن الادارة المركزية سنتين كاملتين أيام  
 الاحتلال البريطاني واستهدفت - نتيجة لذلك - للقتل  
 والنفي والاسر والتعذيب :  
 يارب من لناس ما لهم أحد ؟  
 يارب من لرجال ما لهم دجل ؟  
 وارحاته لمن غابوا فما حضرروا  
 من الشغور ؟ ومن ساروا فما قفلوا !  
 دعوا المظالم حاولتم تفسيها  
 ما للبلاد التي نات بها قبل  
 قد اعتذرنا وقد صحت مقالتنا  
 أخوك مكره في العرب لا بطل !  
 ولنقرأ قصيده «الباكيه» حول احتلال دمشق :

من ترى حرم الزلال عليهِ  
وعلى العاكلات فيهِ احلهِ؟  
ما اخال التحرير والماء الا  
صوت حزن وعبرة مستهلهِ!  
أين ذاك العراق؟ أين بنووه؟  
ليتهم أبصروا العراق واهلهِ!  
كان للمسجد وجصة للامانى  
كبة للحامد الغر قبله  
كل يوم بين الفريقين حرب  
حملة تخشع القلوب فعمله

ومن قصيدة أخرى في دجلة:  
يا ما، دجلة عذبا في موارده  
لانت في كبد الفلاح يحروم  
الفقر فيسك منود وهو مفتقر  
والبحر منك مجد وهم محروم  
عجزتم فحياة المر، عندكم  
السموات تفويض وتسلیم !!

وشعر الشبيبي إلى جانب هذا يتناول ميادين أخرى  
وقد أبل في باب الحكم البلاه الحسن، وعبر عن  
انطباعات كانت ولية احتكاك مع مشاكل الحياة ووليد  
مقارعة مع الزمن، اقرأوا له هذه الآيات:

ويحزنني أن الاواخر قصرروا  
ولم يتزعوا في الفضل نزع الاوائل  
ولم يرثوا من ديدن القوم قبلهم  
سؤال مجيب أو اجابة سائل  
أرى غربة الانسان شتى صنوفها  
واعظمها لقيان من ليس يشากل !  
وما كل رب غص بالناس آهمل  
اذا كان من معروفهم غير آهمل !!

اضاع صوابن عامل غير عالم  
سيسأل عنه عالم غير عامل !!  
احب الى الديان من علم عالم  
اذا هو لم ينفع به جهل جاهل  
ومن يدعى ان المرأة فضيلة  
فاني ارى الایمان رأس الفضائل !  
امور باسعاف المقادير تلتها  
على حين اعيا نيلها بالوسائل  
توسط تزد شأننا في الكف خمسة  
وانطول ما في الكف وسطي الانامل  
وما هالنى كالموت شيء فانسى  
ارى كل شيء غيره هائل

أعياد هذا الشرق صرن ما تما  
لكتها لعداتها أعياد !  
الجو وهو مقطب متهم  
بيكى لنا والأرض وهي جماد  
لسنا نحد عليك يوما واحدا  
أو ليلة ، كل الزمان حداد  
خنا ذمام الفاتحين وعهدهم  
ما هكذا تستعجب الاولاد  
انا بما نجني وهم فيما جنوا  
بشـ البنـون ونـعـةـ الـاجـدادـ !

ولم يفت الشبيبي أن يلاحظ ان اهتمام الاستعمار  
بتعميد الطرق وتمهيد السكك الحديدية لم تكن الا  
لتسهيل مواصلاته هو، ويسير الاستغاثات له هو في  
طول البلاد وعرضها . يذكرني في ذلك برأ أبي العباس  
الناصري صاحب الاستقصا الذي كان يرى « ان نصب  
السكة الحديدية عين الضرر وان النصارى اجبوا سائر  
البلاد فارادوا أن يعبروا هذا القطر السبعه الذي طهره  
الله من دنسهم » !! قال يرحمه الله :

مدوا الحديد وما اهتزت لمده  
سـكـ الـحـدـيدـ باـهـمـهـ اـصـفـادـ  
طـرقـ الـحـدـيدـ اذاـ التـوتـ وـتـشـابـكـ  
شـرـكـ بـهـ شـرـقـ الـعـرـاقـ يـصـادـ !!  
انـ الزـعـامـةـ سـلـمـتـ لـزـعـانـيفـ  
فيـ الشـرـقـ قـادـواـ اـمـهـ فـانـقادـواـ  
انـظـرـ إـلـيـ الـاعـجازـ كـيـفـ تـصـدـرـتـ  
وـعـائـمـ السـادـاتـ كـيـفـ تـسـادـ !!  
شـرـ العـصـورـ وـفـيـ الـمـصـورـ تـقاـوـتـ  
عـصـرـ بـهـ تـقـسـمـ الـأـوـغـادـ !!

\* \* \*

ولا بد ان يكون لدجلة والفرات ذكر في شعر  
الراقيين فانهما اي دجلة والفرات يظلان وردا يتردد  
سباح مسا، على لسان كل الذين عاشوا في العراق  
او انتسبوا اليه، فإنه لا يمكن ان تغير جانبها الى جانب  
دون ان تتخل من روؤية المياه المتواجدة على صفحات  
النهر .. وقد عرفت الشبيبي في بيته بستنطة «الزاوية»  
على شط دجلة وكان يؤله ان لا تستغر طاقات هذين  
النهرتين العظيمتين :

أى دمع يفيض من اى مقلة  
لو قوفى بين انمرات ودجلة  
آه ما اکثر الجداول تجري  
في ربوع نعيه ما أقبله !!

أنتم جيل جديد خلقوا  
لucusoz مقبلات جدد  
غير مجد ان جعلتم قدركم  
عدد العلم وعلم العدد  
وإذا لم تستقم أخلاقكم  
ذهب العلم ذهب الزبد

\* \* \*

وإذا رجعنا الى ما اشرنا اليه آنفا من اسهامه  
في المعركة التحريرية بالعراق أدركنا اذن معانى بعض  
من شعره هذا :

حب الحقيقة يصيّبن وان كبرت  
وزج بي حبها في ماضى أسد  
يا قاصيا باضطهادى ، هبك تفعله  
فالعن قيد لسانى غير مضطهد  
قالوا : فقد سجلوها عنك ضيّنة  
نقلت : ما دار سعو، القصد في خلدى !  
مضت قرون ودالت قبلها دول  
آخر علىها الذى آخر على لبس

وأدركنا الاهداف البعيدة لقوله :  
واكبّر عار في الاكابر صمتهם  
اذا لم يبيّنوا الرأى او لم يصرحوا  
يتولّون أقروا ولا يفهمونها !  
فإن قيل هاتوا صحيحا لم يصححوا !!

وأدركنا معنى قوله :  
على العدل فلتباك المالك ان بنت  
والا فما معنى البناء على الرمل ؟  
وفي الشكل عند الفاقلين تعلة  
وشتان ما بين الحقيقة والشيك !!

وأدركنا معنى قوله :  
يسومون النقوس الظلم حتى  
اذا عاتبهم صفيه عدلا !

وأدركنا معنى قوله :  
قالوا : فلان فاضل فرأيتمه  
لا يحسبون الفضل الا المنصبا !!

وأدركنا معنى قوله :  
متى نحن نحيا او نموت سياسة  
لها كل يوم مظمر متلسوون  
خداع وكذب وافتراق وقصرة  
وظلم ، أمّا العالم المتدين ؟  
وأدركنا معنى قوله وهو يستغل فيضان دجلة

كان البرايا في الوجود قرافل  
تسير الى الاجدات اثر قوافل  
فشت رب عاجل غير آجل  
وثبت رب آجل غير عاجل !  
عبورك من وادي التقلب رحلة  
الى دارك الاخرى فلن خير راحل  
وله من قصيدة أخرى :  
احدى العجائب عدا ان يشقق  
قوم ثقاتهم في ارضنا عجب !!  
من معدن الشر ما سلوا وما شرعوا  
ومن معانيه ما خطوا وما كتبوا  
نسبي وتعقد والاقدار حاكمة  
سيان فيها سكون النفس والطلب !!  
خلد لنفسك في العقبى ذخيرتها  
وراء عمرك ان العمر منتهى  
لسان حال الرزايـا قائل : لعبي  
جد فياريـل قوم جدهم لعب !!

\* \* \*

ومن يعيش ايام الحر في العراق لا بد ان يذكر  
لياليها وأنفاس سحرها ونسيم فجرها ، وليل بغداد  
كله سحر كما يقول شاعرها .  
يقول الشبابين وقد هبت عليه نسمات انعشت  
شاعريته :

نعم الليالي التي زفت اواخرها  
فهي الليالي التي امتد من عمرى  
ما احسن الليل يضمن كله سحرا  
وربما عيبت الاسحار بالقصر !!  
وكان تعتربه أحيانا بعض الانقياضات فيركن  
الى العزلة يجد فيها علاجا له من المخالفات .  
لقد سرني أنني على الناس ملتو  
ومنتبذ من دونهم بعرا  
وأتعب شئ للفتى كثرة العدى  
وأتعب منهم كثرة الخلطا !

\* \* \*

وفي إطار الهابه للمشاعر خاطب الشباب بقصيدة  
طويلة كان منها قوله :  
يا شباب درسوا فاجتهدوا  
لينالوا غية المجتمع  
وعند الله بكم أو طسانكم  
ولقد آن نجاز الموعده

فاطر حم حياة كلها  
تبعات وتكاليف ثقال  
ومن قصائد المرجة :  
والفوز فـقـ الـدـنـيـاـ لـمـنـ  
نبـذـ المـخـاـفـ وـاقـتـحـمـ  
ولـمـنـ شـائـ بـثـبـاتـهـ  
ورـسـوـخـهـ الطـرـودـ الاـشـمـ  
ويـلـ الضـعـيـفـ نـدـاـوـهـ  
فـىـ مـسـمـ الدـنـيـاـ صـدمـ !!

ومذهب الشبيبي في المرأة لا يختلف عن مذهب جل المحافظين المتدلين وهو يتخلص في أنه يكفيها أن الفتاة بعد أن تأخذ بنصيب من العلم أن تقوم بتدبير المنزل فذلك بها أولى وهي به أليق ...

وارباب العجا لهم حقوق  
بنسبتهم كرباس العجال  
بتدبیر المنازل هن اول  
وهم اولی بتدبیر النزال  
ولو كلفن جلب الرزق كانت  
وظيفتهن طوع الاختلال  
ومن للنش، تربية وحفظها  
اذا ساوايننا في كل حال !!!  
ولا ينسقو ان يفهم من هذا انه كان محدود الفتن  
في هذا الباب ولكنه كان يرى اننا اذا استمرنا في  
تقليد الغرب فسنواجهه حتى ما يواجهه الغرب اليوم من  
فقدان العنصر العظيم في البيت ...

\* \* \*

واصدق شعره ما كان يهدف لتقدير خلق او اصلاح  
حال ، اقرأ هذه الآيات ، وهي من مختلف الجهات :  
فقير من غناه ظمع  
وغنون من يرى الفقر غنم ؟  
يا عبيد المال خير منكم  
جهلا، يعبدون الوثناء

\* \* \*

يظنون هذا العصر عصر هداية  
وأجدر لو ندعوه عصر ضلالات  
فإن خرافات مضت قد تبدلت  
حقائق الا أنها كالخرافات !  
واكذب عصر ما تشدق أهلـهـ  
ـ على ظلمـهـ - بالـعـدـلـ اوـ الـمسـاـواـةـ !!

ليفرغ ما في قلبه من أحاسيس ضد الذين يخنقون  
العريات :

طفى الوادى كشعب احرجوه  
فما احتمل المهوان ولا أطاقا !  
ولما قيده ليستفيدها  
أبنى من قيده الا انطلاقا  
بربك ايها الوادى أندنا  
وعلم كيف نفك الوثاقا ؟!

وارك قوله :  
واشقى الورى من يطلب السعي للعلاء  
ويمنعه صوت الجمالة أن يسعن !  
اذا رام أن يستشرق الافق طائرا  
هوى صاغرا ! اورام ان يستوى أفعى !

\* \* \*

وهناك أمر تكابد منه البلاد كما تكابد منه كثير  
من الام - : الطائفية ، كل يعتز بمذهبة وكل يخذل  
المذهب المقابل لكن الشبيبي - وهذه احدى مزاياه  
كان يسوه أن لا تتضاد الجهود وخاصة في ظروف  
الشدة :

وازى من الانسان أعجب ما أزى  
جنسية منتهي أن يتواسى  
لم لا تشبع بالحقوق يزيتها  
لطفا تجمع وردما أجسا ؟  
ومن أقوله في هذا الصدد :

فـنـ آـرـانـاـ شـيـعـ  
وـفـىـ أـحـزـابـنـاـ فـرـقـ  
قـدـ اـسـتـوـىـ خـلـافـكـمـ  
اـلـاـ يـاـقـوـمـ فـاتـفـقـواـ  
فـمـاـ هـاـنـاـ مـنـ اـجـتـمـعـواـ  
وـمـاـ سـادـوـاـ مـنـ اـنـتـرـقـواـ

ومن قوله في هذا الصدد قوله :  
لا تجعلوا آلـةـ التـفـرـيقـ دـيـنـكـمـ  
فالـدـيـنـ عـنـ وـصـمـةـ التـفـرـيقـ مـعـصـومـ :  
كونـواـ الـوـحـدـةـ لـاـ تـفـسـخـهاـ  
نزـعـعـاتـ الرـأـيـ وـالـمـعـقـدـ  
وـمـنـ حـكـمـةـ الـمـأـورـةـ :  
جلـ ماـ فـيـ الـكـسـونـ بـؤـسـ دـائـمـ  
لـيـسـ يـقـضـيـ وـشـقـاـ لـاـ يـزـالـ :  
مـنـ يـرـيدـ الـرـهـ منـ ثـرـوـتـهـ  
انـ عـقـبـاـهـ وـعـقـبـاهـ التـزوـالـ !

لا تملأوا لي أقداحا فقد ملأت  
 الرؤوس سقاة الحب أقداحي  
 أولى الخمارين بمن ما كان منبعها  
 عن نشوة الشوق لاعن سورة الراح !  
 كفتك عن وصف حال نظرة عرضت  
 كم لحظة اجزاء عن شرح شراح !!  
 \*

ان الهوى الفة ما بيننا حست  
 يا واحد الناس في تاريخه العسرين  
 ناه عن العين أهواه ولم أره  
 من أجل ذلك يهونني ولم يرني  
 \*

واشقى الهوى ما كان غاية اهله  
 وعقباه منه الخلعة والهوا  
 اذا نحن وزنا الهوى ونفوسنا  
 ومقصدنا منه عرفنا الذي نهوى  
 واضعف خلق الله عزما معايب  
 زمانا به يستدرج الضعف الاقوى  
 اذا فاتنى ادراك ما صرحت به  
 فنون الليل اتنق مذرك الفحوى  
 \*

ما حب أهل الحب الا أدمع  
 حر تسيل على شفاه تبسم  
 صدر من الاحقاد - وهي قوائل -  
 خال وقلب بالعواطف مفعمس  
 لكن اروع ما اتشده في هذا الصدد وامتع قوله :  
 وائلج ما بدل قلب المشوق  
 على حسره قبيلات الحذر !!  
 \*

أما في وصفه فقد نهج من سلفه في دقة التعبير  
 والاعراب عن المشاعر ، وكما لهج بذكر جمال لبنان  
 قريبه اذ يقول :

ياجنة الذلة لا عدن يائتها  
 ولا يمائتها في الخلد جنات  
 الدهر عندك أيام محيبة  
 وال عمر ينسك منها طال ساعات  
 كذلك غنى رضا بربيع لبنان ولكن من غير ان  
 ينسبني بغضاته !

لقب الناس من تولوه شيخا  
 وهو في جمل ما يراه صبي :

اذا تنافسوا البقاء عوامل  
 صحي الاصح بقاوه والاصلاح :

رأيت السر ، التي زاد علىها  
 تغير نكره فزاده جيلا  
 خبائث الكون اكتسحها خفي  
 ولم تستجله الا الاقلاع  
 اذا وجد المريب بأرض جبلى  
 تسلوها ، وان شجعت تولي  
 ومن جبيل الحياة زواه دا  
 تفضل ما استطع ولا استبلا  
 والشبيين في صدر الذين رددوا أصواته ظهور  
 الطائرة ، وكان ذلك حدثا فوجىء به الناس أولئك  
 القرن العالى  
 لم تفهم بنت البخار عجيبة  
 حتى بنوا للجو منها أجيالا  
 حسدو الطيور فأطلقوا أمثالها  
 متتصuda هدا وذا متتصوبا !

أما في باب الوجدانيات فانك لتقرأ للشبيين لغة  
 حب رقيقة وعنيفة في الوقت نفسه ، حب الفقهاء ، الغنى  
 الغوى ، يليق بنا أن نحاول تذوق لفته في الحب  
 فستشفى منها روحه المرحة وشعوره المرهق :  
 يشكوا الصباية كل يوم مدعى  
 واحقنا دعوى لها من ذاقها !

جباء الذين استهجنوا الحب كزة !!  
 وأوجههم شر الوجسو الجوادم !!  
 ثنيت اليك النفس عن شهواتها  
 وجاءتها ، ما حب من لا يجامد ؟ !

وبليتني فرس الحب اني اينما  
 وجد الجمال وجدت اني صبه !!  
 مستواصلا يسزورني ويتبني  
 حذر المدا فازوره وأغبه  
 قالوا : اعتزلت الناس ! قلت : متيم  
 في الحب ديدنه النمار ودآبه !

اجدر العهود بالعناية والاهتمام .. اولية بنى العباس ... مدارسهم العربية ، أشهر بيورتهم واستعراض معجم ابن المفوطي ... وكتاب الاخبار والحوادث التاريخية السالف الذكر ... وقد كان ظهور هذين المجلدين باذلة اتاحت لرجال البحث أن يشيدوا بمجهوده كما اتاحت لهم الفرصة كذلك ليتابعوا المؤلف في بعض ما ذهب إليه ، وقد كان في جملة من اطروا على مجهوده وعقبوا عليه الدكتور مصطفى جواد .

وقد أصدر نادي القلم العراقي سنة 1958 مجربة ضمت فيما ضمت كلمتين لرئيس النادي الاستاذ الشبيبي وكان قد تبوا رئاسة النادي بعد اثر حمود الشاعر الزهاوى ... احدى الكلمتين حول الجريطة ، والثانية حول فتح بغداد ... كما ظهر له بحث حول التربية الاسلامية . وهو عبارة عن دراسة كان يقارن فيها بين مدرسة المغاربة ومدرسة المغارقة .. القاعدة بكلية التربية في موسمها الثقافي لسنة 1958 وهي كلمة لا غنى عنها للمشتغل بالحديث عن الدراسات المنهجية في الشرق والغرب .

ونفضل فيبعث إلى من من بغداد منذ ١٩٥٦-١٩٥٧  
بعض راته عن أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله الخصوصية وتصوره العربي ، هذه المحاضرات التي كتبت سمعت بعضاً من خطوطها الأولى في القاهرة بمعبد الدراسات المغالية على ما أسلفت ، وهي دراسة استهدفت اولاً التعريف بجزء من كتاب الخريدة للنعمان الكاتب ، هو الجزء المتعلق بشعراء الاندلس والمغرب . وتانياً التعريف بأصول البحث التي اعتمدها مؤلفه في هذا القسم من الكتاب ، أما الهدف الثالث فهو الحديث عن طائفة من شعراء المغرب والأندلس .. وقد أسمى بهذه الدراسة في التدليل على ذلك التصور والتعريف بناحية مهمة من نواحي الأدب العربي ...  
وإذا كانت هذه المحاضرات لم تثر كبير مناقشة في المشرق فإنها - وهذا متوقع - فتحتباباً لمناقشتها في بعض الاوساط الادبية بالغرب وذارها على سبيل المثال تعقيبات الاستاذ المؤرخ عبد التكير ابن الحسيني ...

وقد قرأنا للشيخ الشبيبي رحلة في مدينة السماوة (قضاء في العراق) فيها كثيرة من الفوائد المتوعنة ، استطرد فيه ذكر كثير من المعروقات التاريخية الطيبة .

اما رحلته الى المغرب فهنالك لا تخلي من خدعة ولبر أنه - كما يظهر - كان يحررها مستعجلًا ، وكانت

وما زلت يسا صيدا الا مسلامة من الورد محبوب لرائدك النشر  
وان أنس لم أنس منها عشية تساقط فيها الثلج وانبعث القر  
وفن أرض بغداد هواء من المني  
وعيش هو السلوى ومه هو الخمر !  
متن خنت بغداد وبغداد بلدة اذا رمت عنها الصبر خانق الصبر

ومجمل القول ان الشبيبي في اشعاره لم يكن فقط صاحب صنعة او صاحب احتراف ولكنه كان يعبر عن خلجان تسعد الذين يهمهم دراسة البيئة العراقية ومعرفتها .

### جولة في نشره

اما نشره فان ما وصلنا منه ينم عن رغبة في التمجيل بالفائدة للتقرأ ، وتلك منقبة رجال العلم الذين يهدون ببعوثهم فتح المجال للآخرين فيما ينقشا ويتحدثوا

لقد كان الشبيبي ثالث اثنين صدراً من سنة 1932 لكتاب الاخبار والحوادث التاريخية الذي يجهل مؤلفه والذي كان قد سمي آنذاك بالحوادث الجامحة ...

وقد عنى الشبيبي بمؤرخ الشرق عموماً والعراق على الخصوص عبد السرزاقي المعروف بابن المفوطي البغدادي (642-723) فتحدث في أول محاضرة تاريخيةقيت بكلية الحقوق ببغداد يوم 22 أبريل سنة 1940 ، وقد كانت محاولة مهمة في التعريف بذلك المؤرخ الفذ تبعتها عدة مناقشات وكتابات وأحاديث كان في أبرزها على ما أذكر كلمة مسيئة عن ابن المفوطي للدكتور مصطفى جواد في المجلد التاسع من مجلة المجمع (١٩٦٢) على أن الفضل كل الفضل في بعث الحديث عن هذا المؤرخ انفخور برجوع للشيخ الشبيبي ... وقد تبع ذلك التقديم عمل جدى هام من لدن الشيخ : ذلك قيامه المشكور بنشر تأليف مسهب في أدوار التاريخ العراقي من مستهل العصر العباسي الى اواخر العصر المغولي ركز فيه على سيرة المؤرخ المذكور بعد أن ظفر بقسم من مجموعه ... وقد نشر ذلك في مجلدين الاول يحتوى على 260 صفحة من الحجم المتوسط بينما يشتمل المجلد الثاني على 360 صفحة .. والحقيقة أن هذين المجلدين أسمياً الى حد كبير في تنوير عقول الذين يهمهم الوقوف على معالم العراق والاحوال الاجتماعية فيه على ذلك المهد ، وهو

ودخلوا بها دربا مجاورا وهكذا نفذنا الى فندق ذالغ حيث أدى القوم صلاة الشكر لله .

\* \* \*

ولكن هل هذا كل ما قرأتناه للشبيبي ؟ ان الذي يرجع الى خزانة العراق ، الى مجلاتها الى صفحها لا بد ان يقرأ له الاخير من المساعمات ، وقد فرأت له حينها مفيدة عن اقدم مخطوط وصل اليانا من بلاد العرب لمؤلفه أبي على الحسن بن عبد الله المعروف ببغداد من اعلام القرن الثالث واوائل القرن الرابع لهجرة ... وقرأنا له بعثه الهام : (اصول اللهجة العراقية) الذي كان نشره في المجلد الرابع من مجلة المجمع سنة ١٩٥٦ لقد وجدت في هذا البحث من الفاتحة ما قرب الى فهم اللهجة العراقية الحاربة ... وما زلت اذكر انتي في مجلس من مجالس معه سألته هل كان هذا بعثه الاول والاخير في الموضوع ولكنه ذكر ان بعثه ذلك ما يزال في طريقه نحو التحقيق وكان هذا بمناسبة سؤال اياه عن مصدر كلمة «الطرشى» في اللهجة العراقية ، وهي تعني ما نسميه بالغرب : «المرقد» اعني بعض الخضر كالقلفل والبازنجان والفتاوى الخ عندما تنقع في نحو خل ... يسمونه هناك «الطرشى» ... فاملأني بيت شعر من الغرب ما سمعته من كلام وقد جمع فيه الطرشى على طراشين :

ان الانساكيير تاهت بعد ما تبجت  
واستشرنست بعد ما كانت طراشيشا !

قال : الانساكيير معناها أعداق العتب ، وتاهت معناها اسودت . وتبتجمت : معناها احضرت ، والطرشى معناه : الحامض .

وقد علمت من الاستاذ عبد الله الجبرى مؤخرا انه حق كتابا للفارابى يحمل اسم (احياء العلوم) .

\* \* \*

وقد نشرت مجلة (المكتبة) التي تصدرها (مكتبة الشنى ) ببغداد للاستاذ قاسم الربج أن المجمع العلمي العراقي أصدر للشيخ الشبيبي كتابه الجديد : «تراثنا الفلسفى و حاجته الى النقد والتتحصين» وذلك بمناسبة انعقاد دورة مجمع اللغة العربية ببغداد ، وبالرغم من اتنا لم نتفق على هذا البحث الى الآن لكن عنوانه يدل على ان الشيخ حلقي فيه وأتى بابداع مشوق .

\* \* \*

وبعد فهل قلت عن الشبيبي كل شيء ؟ الواقع ان هناك جواب من نشاطه وحياته تتطلب من المختصين من الذين زاملوه ولازموه ان يعملوا على نشرها ... واني

أود لو وجده الشيخ متسعًا من الوقت ليتحدث عن بلاده المغرب بتأثره وأدق مما تحدث به ، والشيء بالشيء يذكر فقد أشار رحمة الله في رحلته هذه لحادثة طريفة وقعت له ببلادنا استثارت بسرها ، لقد ذكر ان الزائر لجامعة القردوين من فاس لن يصلها الا « بشق النفس » ، وشق النفس في رحلته المقتصبة تفصله النادرة التالية :

لقد نزلنا راجلين الى مدينة فاس صحبة المففور له جلالة محمد الخامس لافتتاح حفلات عيد جامعة القردوين (٢٠-٥٠)، لقد كان الشيخ الشبيبي يشكو ذات قلبه ، وصعب عليه أن يرجع راجلا صاعدا من سفح المدينة الى قمتها ، وفاس - كما يعلم ذلك زوارها الجدد - تقرى قاصديها فلا يزالون يستمullan التزول في منحدراتها ، ثم بعد أن يستمتعوا من جمالها ومن تراثها ويحاولوا ارجواعها بياقوتون بأن انترقا ليس كالمنحدر وهكذا تتحقق انقلاب وتتفاضل العرقا ! ... لقد صارحنى الشيخ أنه لن يستطيع أن يخطو خطوة واحدة ! وشعرت أنه فعلا عاجز عن تسلق العقبات وانقضت إليه ثلاثة من الطاعنين أو الذين كادوا أن يكونوا ... فحاولت أن أجرب العصار تكته لم يثبت على ظهره ! واضطربنا للانتظار ... واتصلت بأحد المسؤولين بالتلفون فتحديثا إليه عن ثلاثة من المتعين ، ففهم كلامي أن القوم في حالة احتضار ! ولذا فقد بعث إلى ثلاثة نعوش !! ومن حسن الحظ أنني انتبهت على اثر جلبة الأطفال الى أن ألقى نظرة من نافذة على ساحة الصغارين فإذا بسي أرى النعشوش الثلاثة !! حينما نعيت القوم واتصلت بالتلفون من جديد بمسؤول أعلى أهمته الامر كما هو وأنه تقرر ارسال سيارة خاصة لحملهم ... وهكذا صعدنا ولما كنا في بعض الطريق قريبا من زقاق الحجر اذا بسيارة أخرى بعث بها جلالة المففور له وقد كان بلغته تفاصيل الخبر : خبر الضيوف المتعين ! كيف العمل ؟ الطريق من الضيق والالتواء بحيث يتذرع فيها سلوك سياراتين ويتنذر فيه رجوع السيارة الفقري ... وزاد في ارتباك الامر تعلق الاطفال بالسيارة والوقت وقت ظهر تعطل فيه المدارس ! ونزول السيارة في دروب فاس أمر غريب بالنسبة اليهم ! وكانت أسمع الى الشيخ وهو يهمس : « لئن أتيحتنا من هذه ل تكون من الشاكرين » وحقيقة فقد يظن أن لا مخرج من هذه الورطة الا الرضا برکوب النعوش . وهو فال غير حميد ! ولكن سرعان ما حضر الرجال فعملوا السيارة الملكية على أكثافهم

سجنه ... كان يشارك في كل حديث ويكره أن تقتربه بعيداً عن بعض الحديث ... ما رأيته يوماً غير متلهل الوجه الا يوم قصته لتعزيته في سيدته الفاضلة ... فمنذ هذا اليوم كثرت ازواجهاته وتواتر انتظاره ... وبالرغم من ملامح التعب التي كانت بادية عليه فانه ظل يشعر بأنه ما يزال يستطيع أن يأخذ الطريق نولا وفاة عقيله التي كانت بالنسبة اليه خسارة لم يعوضها حنان بناته وبنته ... ان اختفاء زوجته من البيت كان نذيراً مستمراً يندو ويمسي معه - يذكره بالصبر المحتس .

اذكر أن أحد أصدقائه حذر في آخر عشاء ضيوفه بأن تناول الحلويات يزيد في مضاعفات السكري الذي كان يشكوه فأجاب الشيخ ببيت من أوائل شعره :

خذ العذر او لا تأخذ العذر انتي

اذا جاء امر الله بادى المقاتل !

عبد الهادي التازى

على يقين مصدره ما كان يحدّثني هو به ، لأن له عدة كلمات وعدة بحوث وعدة قصائد ما تزال تنتظر منه المراجعة الأخيرة لاعدادها للطبع لكنه انهار دون أن يتحقق رجاه ، وإن الأمل في أن لا يعدم من تلامذته وأصدقائه من يعطون على هذا التراث فيجمعونه ويسلّمونه ويقدمونه للقراء . إن الشيخ في عداد أولئك الشياخ الذين عرفناهم من تشرُّف وانت تتحدث اليهم أنهم أبناء «المدرسة» التي أخذت الان - مسح الأسف الشديد - تبكي آخر تلامذتها في الشرق والغرب ، تجد في الاستثناء به ، قوله الكلفة معه ، والاطنان إليه ما يحبه اليك فهو يعيش ويكتب ويحضر ويداعب يصبح بسمه وانت تتحدث اليه ويكتفي بادى. الأمر بتزديـدـ كـلمـةـ : عـجـيبـ ! عـجـيبـ ! ثـمـ يـاخـذـ فيـ التـعلـيقـ عـلـىـ ماـ قـلـتـهـ بـمـاـ لـيـدـعـ مـجـالـاـ لـلـاعـتـقـادـ بـأـنـ العـجـبـ كـانـ فـيـ عـدـمـ تـسـرـعـهـ وـادـعـائـهـ المـرـفـقـ قـبـلـ كـيـفـيـ أـسـرـتـ بـهـ إـلـيـهـ ! كـانـ يـكتـفـيـ فـيـ الـاجـابةـ عـلـىـ بـعـضـ أـسـئـلـتـيـ المـرـجـةـ بـضـحـكةـ يـبعـثـهـاـ أوـ نـكـتـةـ يـرـدـدـهـاـ أوـ مـشـلـ يـرـسـلـهـ ... وـتـلـكـ هيـ لـغـةـ التـيـ لـهـ قـامـوسـ خـاصـ بـهـ يـعـرـفـ الـذـينـ أـطـالـواـ

### وحدة الفكر من خلال وحدة الثقافة

دعا المكتب الدائم لتنسيق التعرّيف في العالم العربي بمناسبة اجتماع مؤتمر القيمة العربية في دورته الثالثة إلى إقامة موسم حول وحدة الفكر من خلال وحدة الثقافة العربية وهذا هو نص النداء الذي وجهه : ان المكتب الدائم لتنسيق التعرّيف في العالم العربي ليبارك الخطوات الإيجابية التي تخطّطها شعوب العالم من الخليج العربي إلى المحيط من أجل تحقيق وحدة عربية في جميع المجالات ، وأنه ليسره أن يجتمع على صعيد واحد وفي أرض المغرب العربي ملسووك وزؤسا . التoul العربية لجعل حد لكل ما من شأنه أن يحول دون التّعجّيل باقرار وحدة الوطن العربي الكبير ، وتطبيق المبادئ المثل التي تمليها الرغبة الجماعية في إعادة بناء القومية العربية على أساس متينة تتفق والآهداف المنشورة والغايات التي تصبو إليها شعوب العالم العربي قاطبة .

وان وحدة الفكر لأساس لكل وحدة يراد تحقيقها في عالم الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة وهي تتبلّسor خاصة من خلال وحدة الثقافة العربية في جميع مجالاتها وبهذه المناسبة يوجه هذا النداء لجميع المسؤولين عن أجهزة الإعلام من صحفة وإذاعة وتلفزة كما يستلزم قرائع الكتاب والأدباء العرب أن يجعلوها من أيام مؤتمر القيمة العربية المنعقد بالمغرب فرصة لتهبيـ، الجو الصالح الملائم لتحقيق الوحدة الفكرية التي ينشدـهاـ العربـ والتي عملـ ويعملـ المخلصـونـ فيـ كلـ زـمانـ وـمـكانـ عـلـىـ اـقـراـزـهـاـ بـيـنـ عـامـةـ شـعـوبـ العـالـمـ العـرـبـيـ .

هـذاـ وـقدـ نـظـمـ المـكـتبـ الدـائـمـ بـهـذـهـ المـاـسـيـةـ نـدوـاتـ اـذـاعـيـةـ وـمـتـلـفـزـةـ وـاسـتـجـواـبـاتـ وـاحـادـيـثـ فـيـ نـطـاقـ هـذـاـ

الـبرـنـامـجـ مـنـ ٢٥ـ إـلـىـ ٢٧ـ شـتـنـبـرـ ١٩٦٥ـ .